

لَمَحَاتُ عِلْمِيَّة

وَقُطُوفُ

تَفْسِيرِيَّة

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتُ عِلْمِيَّةٍ وَقُطُوفُ تَفْسِيرِيَّةٍ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تجلّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفسِّري الأمس مُعاصرين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي: "كَانَ عَمْرُ بْنُ الْحَسَامِ يَقْرَأُ كِتَابَ الْمَجْسطِي عَلَى عَمْرِ الْأَبْهَرِيِّ فَقَالَ لَهُمَا بَعْضُ الْفُقَهَاءِ يَوْمًا: مَا الَّذِي تَقْرَأُونَهُ؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيُّ أفسر قَوْلَهُ تَعَالَى {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا} فَأَنَا أفسر كَيْفِيَّةَ بِنَائِهَا، وَلَقَدْ صَدَقَ الْأَبْهَرِيُّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَكْثَرَ تَوْعَلًا فِي بَحَارِ الْمَخْلُوقَاتِ كَانَ أَكْثَرَ عِلْمًا بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ"^١، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م^٢، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بغفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَتَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٧ و٨٨، ﴿سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١ فصلت: ٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧ النمل: ٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ١٦ الأنعام: ٦٦ و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠ يونس: ٣٩، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَتَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٧ و٨٨.

د. محمد دودح



^١ فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٥٤١٤).

^٢ موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا
الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ
وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ
سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ النساء: ١٧١ .

الفقرة Paragraph

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى
مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۚ النساء: ١٧١ .

كلمات إرشادية keywords

﴿ثلاثة﴾، ﴿اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾.

ترجمة (تفسيرية) Translation

O people of the Scripture (particularly Christians), **do not transgress the limits of your religion, and do not say about Allah except the truth** (as revealed before in the Scripture). **Verily, the Messiah, Jesus, (the) son of Mary, was only a Messenger of Allah, and a fulfillment of HIS word which He has sent down to Mary and a mercy from Him. So believe in Allah and His Messengers** (by the same message), **and say not, They are three** (of Trinity). **Desist; it will be better for you. Verily, Allah is the only One** (Unique and Only) **God. Holy is He far above having a son.**



لَمَحَاتُ بَيَانِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ

Eloquent & Scientific Hints

في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ٤ النساء: ١٧١؛ جملة دلالات وإيحاءات، ففي المناداة بأهل الكتاب تخصيص بالنصارى؛ لأنهم هم الذين ضموا أسفار بني إسرائيل لأسفارهم في كتاب واحد، ومجامعهم هي التي حادت عن دعوة الرسل للتوحيد Monotheism الخالص واستحدثوا بدعة التثليث Trinity، وهم دعاة الغلو في تأليه المسيح وأمه عليهما السلام.

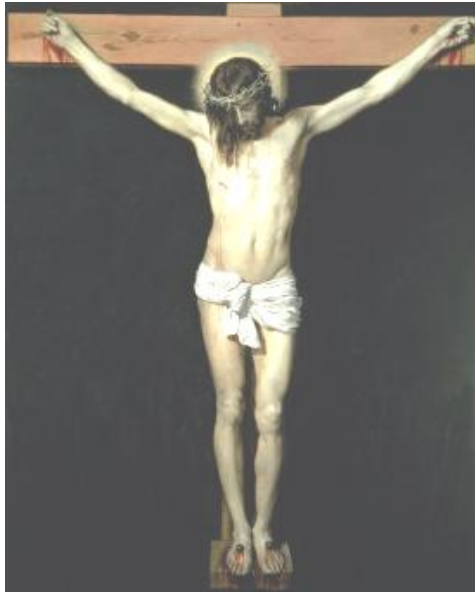


كل من حضر مجمع نيقية الأول عام ٣٢٥م الذي قرر تأليه المسيح من رعايا الإمبراطورية الرومانية الوثنية المعتقد.

والاستفتاح بكلمة (الكتاب) فيه دعوة إلى تفتيش مدونات بني إسرائيل ومأثورات النصارى للتحقق من زيف التثليث، ومن دعوة المسيح عليه السلام إلى التوحيد الخالص؛ وعبوديته لله تعالى وحده وبراعته من فرية الشركة معه، ونجد وفق مصادر النصارى ذاتها التي تمت ترجمتها بحروف المطابع ونشرها للعامّة حديثاً أن عقيدة التثليث قد تطورت بالتدريج في البيئة الوثنية الرومانية التي كانت سائدة إلى القرن الرابع بعد وفاة المسيح؛ وكان الخلاف قد دب بين مؤيد للتوحيد وأن عيسى عليه السلام كان نبياً كسابقه وبين المتأخرين بتأليه العظماء، وخشي الإمبراطور قسطنطين على تمزق الإمبراطورية فدعا جمع من الرعايا القساوسة لمؤتمر نيقية الأول عام ٣٢٥م، وانحاز قسطنطين إلى رأي ٣١٨ متأخر في أن المسيح ابن الله على الحقيقة لا المجاز من أصل ١٨٠٠ أسقف؛ (نسبة أقل من ١٨%)، ورأى ١٥٠ أسقفاً من بعد في مؤتمر القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م أن يضيفوا الروح لتكتمل أطراف التثليث، وهكذا اختلطت دعوة التوحيد التي نادي بها المسيح مع طقوس رومانية ورتب كهنوتية وأردية وصور وتمائيل مقدسة لم يعرفها المسيح، ومسيحية متأخرقة؛ ونهب وإبادة شعوب باسم الصليب والمسيح!.



وتلك الطقوس بلغاتها البائدة لم يتحدث بها المسيح وإنما كانت تعاليمه بالأرامية لغة أهل فلسطين بينما كل الأناجيل الحالية مترجمة عن اليونانية لغة البيزنطيين، ولم يكن في زمنه تثليث ولا صلبان ولا زعم أكل لحمه وشرب دمه في طقس قربان، ففي زعم الكهنة الكاثوليك والأرثوذكس أن من يتناول الخبز ويشرب الخمر متوهمًا أكل لحم المسيح وشرب دمه يتحد معه روحياً باعتباره إلهاً ويترقى في المرتبة؛ بينما يرى البروتستانت طقس القربان هذا دجل واختلاق وكفر، ورغم غلو الطائفة بتأليه المسيح بلغ امتهانه في رسومهم وتقاليدهم وضع الشوك على رأسه وحمله لصليب خشبي ليصلب عليه ودق مسامير معدنية في أطرافه وتعليقه بين لصين حتى مات، فكيف يليق أن يعلق الإله على خشبة ويصرخ ويتألم؛ خاصة أن في أسفارهم: "المعلق ملعون من الله" تثنية: ٢١ / ٢٣.



وإذا كان المسيح هو الإله كما يزعمون؛ فلمن وجَّه إذن صرخته على الصليب يائسًا: (إلهي إلهي لماذا تركتني) متى: ٢٧ / ٤٦، هل كان حقًا هو المسيح؛ أم حمل عنه المأساة أحد الأتباع المخلصين!، وأين ذهب إيمانه إذا كان قد ارتضى طواعية تخليص البشر من خطيئة أبو البشر؛ إذا كان على أحد أن يحمل ذنب ارتكبه إنسان آخر سواه!.

قال شنودة بابا الأرثوذكس Pope Shenouda III: "لقد كتب العهد القديم في فترة ٢٥٠٠ سنة بواسطة ٤٠ كاتباً يختلفون تماماً في صفاتهم، فمنهم الفلاسفة مثل موسى النبي، ومنهم الراعي البسيط جامع الجميز مثل عاموس، والقائد الحربي يشوع، وساقى الملك نحميا، ومنهم أشعياء رجل القصور، ودانيال رئيس الوزراء، وسليمان الملك وصاحب الحكمة..، كما اختلف الكتاب عن بعضهم في ظروف تسجيل الوحي الإلهي؛ فموسى سجل أسفاره في البرية، أما أراميا فسجلها في ظلمة الجب، أما دواد النبي فكتب مزاميره عند سفوح التلال وهو يرعى خرافه، والبعض كتب وهو في شدة الفرح، والبعض الآخر وهو في قمة الألم والسجن والقيود مثل.. بولس".

هذا هو إذن السبب في التناقض والاختلاف في الأسفار والذي لا يقع فيه الوحي، في ٢ صمويل ١٢٤ ٢٤: اشترى داود البيدر والبقر بخمسين شيكل من الفضة؛ ولكن في ١ أخبار ١٢١ ٢٥: الثمن ست مائة شيكل ذهب، وفي ٢ صمويل ١٢٣ ٨: يوشيب قتل ثمانمائة دفعة واحدة؛ وانخفض عددهم في ١ أخبار ١٢١ ٢٥: إلى ثلاثمائة فقط، وفي ٢ صمويل ١١٧ ٢٥: أن عماس ابن يثرا إسرائيلي، ولكن في ١ أخبار ١٢ ١٧: يقول أن يثرا إسماعيلي (عربي)، وفي ٢ صمويل ١١٤ ٢٧: يقول إنه ولد لأبشالوم ثلاثة بنين وبنت واحدة اسمها تامار؛ ولكن في ٢ صمويل نفسه ١١٨ ١٨ نسي الكاتب ذلك وقال أن أبشالوم ليس له ابن، وفي ٢ صمويل ١١١ ٣: اسم أم سليمان عليه السلام بثشبع بنت اليعام؛ وفي ١ أخبار ١٣ ٥: اسمها بثشوع بنت عمينيل، وفي إحصاء أحمد ديدات في كتابه: "خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس".

وقال الأب الفرنسي أسطفان شربنتيه في كتابه (ص ٨): "دليل إلى قراءة الكتاب المقدس" المنشور في ١٢ تشرين الثاني عام ١٩٨٢ ترجمة الأب صبحي حموي اليسوعي إلى العربية، وتقديم الأب أنطوان أودو اليسوعي أستاذ الكتاب المقدس بجامعة القديس يوسف في بيروت: "إن الكتاب المقدس لاسيما العهد القديم كتاب محير، نعلم قبل أن نفتحه أنه الكتاب المقدس عند اليهود والمسيحيين ونتوقع أن نجد فيه كلام الله غير ممزوج بأي شيء.. وعندما نفتحه نجد فيه.. روايات لا نستطيع أن نقرأها بصوت مرتفع دون أن نخجل.. وفصائح أخلاقية.. مبعضة للنساء".

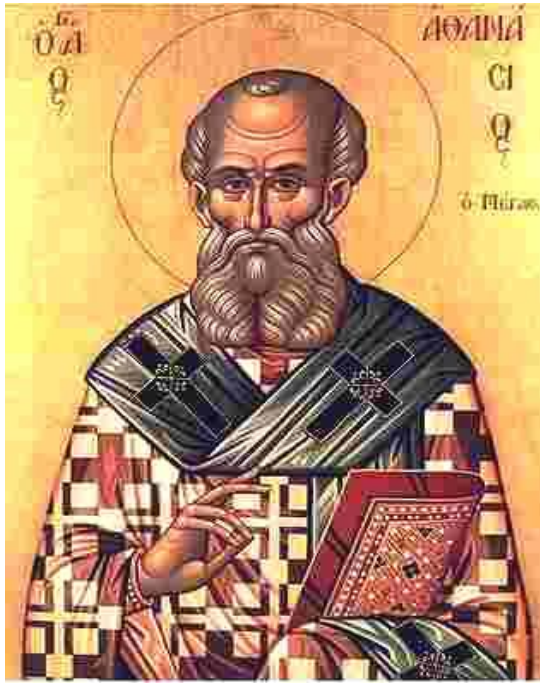
وأضاف الأب أسطفان مصرحاً بالدخيل على الأسفار: "أدخل على الكتاب تنقيحات أخرى.. حوالي السنة ٤٠٠ أي في الشريعة.. أو التوراة وكانوا يشعرون بأمانتهم لأفكار موسى، أو بعبارة أخرى كانوا على يقين من أن القوانين التي يسنونها هي التي لو عاش موسى في ذلك الزمان لسنها؛ فجعلوها على لسانه في صيغة خطب ألقاها قبل وفاته".

ويستند دعاة التثليث على فقرة وردت في إنجيل متى الإصحاح ٢٨ العدد ١٩ منسوبة للمسيح عليه السلام: "فأذهبوا وتعلموا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس"، ولكن المحققون قد أثبتوا أن هذه الفقرة مختلفة؛ فضلاً على أنها تتحدث عن ثلاث نوات مختلفة وليس ثلوث أقدس تجمعها ذات واحدة، فلم ترد في الأناجيل الثلاثة الأخرى على أهميتها في العقيدة، وغير موجودة بإنجيل متى العبري، يقول ويلز: "لا يوجد دليل على أن حواربي المسيح اعتنقوا التثليث"، ويقول أدولف هرنك: "صيغة التثليث هذه التي تتكلم عن الأب والابن والروح القدس غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها وجود في عصر الرسل..، (وحتى) بولس لا يعلم شيئاً عن هذا"، والحواري بطرس يقول: "أوصانا أن نركز للشعب" أعمال: ١٠ / ٤٢؛ أي لليهود فقط، والمسيح نفسه يقول: "لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلِ الضَّالَّةِ" متى: ١ / ٢٤، والعبارة تتفق مع منهج بولس في التساهل في شريعة موسى في دعوة غير اليهود، والنص في الإنجيل العبري: اذهبوا وتعلموهم لينفذوا كل ما أوصيتم به إلى الأبد، والذي ترجم متى من العبرانية إلى اليونانية غير معروف، قال جيروم: من المحتمل أن يكون إنجيل الناصريين.. هو الأصل العبراني لإنجيل متى ثم طرأت عليه توسعة وتعديل، فأين الإلهام هنا في عمل الكتبة والمترجمين وقد حرفوا الأصل!.



وتحمل الأسفار ثقافات كتابها، فقد اعتقد مثلا كتبة الأسفار أن يعقوب قد صارع الإله حرفيا على النحو الذي نراه حاليا في المصارعة الحرة في التليفزيون؛ وليس بمعنى أن الله قد اختبره ونجح، وكما يزعمون كان الإله كعادته كل ليلة قد نزل ليتجول على الكوكب فلم يستطع الإفلات طيلة الليل حتى أوشكت الشمس على الشروق وحن موعد عودته إلى السماء إلا أن لبي طلب يعقوب أن يباركه، وبالمثل اعتقد كتبة الأنجيل بحرفية تعبير (ابن الله) بمعنى ولده؛ وليس بمعنى عبودية المسيح لله ورعايته تعالى له، فمهد زعم إلهوية المسيح لنشأة معتقد التثليث، وتجنبنا لإظهار الإله وهو يسترضي يعقوب ليفلته عندما حان الشروق موعد صعوده للسماء ليدير شئون الكون رسم الفنانين رفيقه في المصارعة ملاكًا، ولكن آباء الكنيسة أصروا على حرفية التعبير؛ كما أصروا على حرفية تعبير ابن الله فجعلوا النبي إلها على طريقة الوثنيين، هذه هي الصورة التي يقدمها معتقد التثليث اليوم اختلط فيه الوهم بالواقع وأصبح المجاز حقيقةً، وتكشف الرسوم معتقدهم أن الملاك رفيق يعقوب في المصارعة أنثى في معتقدهم وكأنهم شهود عيان للواقعة، فلا تعجب إذن وقد زعموا ما هو أعظم إفكًا بانجاب الذات العلية ولدًا، وعلى نهجهم سار عرب الجاهلية؛ ولكن القرآن الكريم قال: **تَكْذِبُونَ: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ. أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْهِمْ لَيَقُولُونَ. وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ٣٧ الصافات: ١٤٩-١٥٢.**

ويكفي أن أقوال المسيح عليه السلام في مآثور أهل الكتاب تكشف كم بَعُدَت المسيحية المتأخرقة عن المسيحية الحق؛ حيث يُعلن المسيح نفسه عبوديته لله تعالى وحده وأنه ليس إلا رسول كسابقه، فقد قيل أنه: "قضى الليل كله في الصلاة لله" لوقا: ١٦ ١٢، وأنه: "كان يعتزل في البراري ويصلي" لوقا: ١٥ ١٦، وأنه قال: "لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" متى: ١٤ ١٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله" يوحنا: ١٦ ١٣، وعندما سُئِلَ: "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟" متى: ١٢٢ ١٢٢، قال: "الرب إلهنا رب واحد" مرقس: ١١٢ ٢٩، وقال: "هذه هي الوصية الأولى والعظمى" متى: ١٢٢ ٣٨، وقال: "لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء" متى: ١٥ ١٧، وقد أعلن مرارا أنه ليس إلا رسول لله كسابقه: "ليعلم العالم أنك أرسلتني" يوحنا: ١١٧ ٢٣، وقال: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا.. لا أطلب مشيئتي بل مشيئة.. الذي أرسلني" يوحنا: ١٥ ٣٠، وقال: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني" يوحنا: ١١٢ ٤٤، وقال: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية" يوحنا: ١٥ ٢٤، ولما دعاه أحدهم صالحًا قال: "ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" متى: ١١٩ ١٧، ومرقس: ١١٠ ١٨، ولوقا: ١١٨ ١٩، تلك أقوال المسيح عليه السلام تخزي من يتهمه بأنه دعي يوما للتثليث خاصة مع قوله المسلط سيقًا على رقاب السائرين على درب الطائفية لا يعون أين يقودهم الطريق: "من ردلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه؛ الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير" يوحنا: ١١٢ ٤٨؛ فهل من مُعتبر فطين لينجو قبل فوات الأوان!.



اثناسيوس السكندري
(٢٩٥م - ٣٧٣م)



ترتليان Tertullian
(١٥٥ أو ١٦٠م - ٢٢٥م)

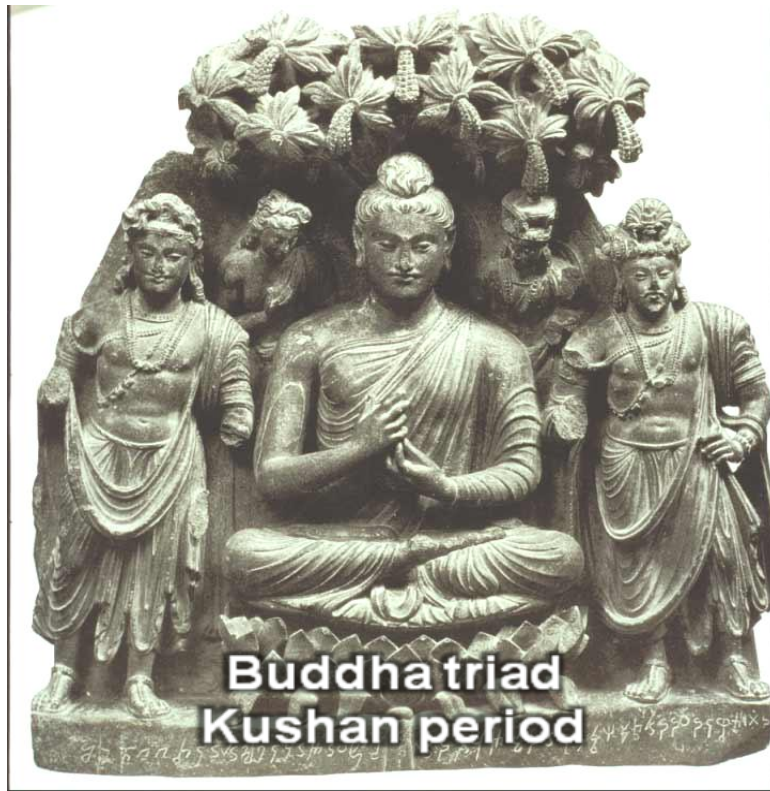
فمن أين جاء التثليث طالما لم يصرح به عيسى عليه السلام؛ وإنما دعي إلى التوحيد، ويجيب قاموس الكتاب المقدس قائلًا: "الكلمة نفسها (التثليث) أو (الثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها.. ترتليان Tertullian في القرن الثاني للميلاد (من حوالي ١٥٥ أو ١٦٠م إلى حوالي ٢٢٥م) .. وأخيراً ظهر اثناسيوس السكندري (٢٩٥م - ٣٧٣م) .. واضعاً أساس العقيدة.. التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام ٣٢٥ ميلادية..، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا"، فمن هو ترتليان هذا حتى يُعتمد قوله بالتثليث إلى اليوم؟، ويجيب الموقع المسيحي (بيت الله الحي) بقوله: "هو أحد أتباع مونتانوس Montanus الذي ادعى النبوة في نهاية القرن الثاني، وبعد أن كثر أتباعه كان يؤكد أنه هو الله نفسه"، وبهذا شهدت المصادر المسيحية نفسها بأن مصدر التثليث ليس عيسى عليه السلام الداعي إلى الوجدانية؛ وإنما رعايا البيئة الرومانية الوثنية.



والتثليث طابع الوثنيات؛ فالحفريات المكتشفة حديثا في مدينة أور تظهر نقش للتثلاثي الوثني المقدس: الشمس والقمر يمثلان الأب وزوجت؛ وثالثهما الزهرة يمثل الابن، وهو نفس التالوث الذي حدثنا عنه القرآن الكريم على لسان إبراهيم مستدرجا قومه في محاوره جدلية تحمل علما بالوقائع؛ قبل أن تخرج الحفريات من تحت الركام ويعاينها نظر.



Brahma of Hindus, the pagan trinity.
تالوث براهما معبود الهندوس؛ إله واحد بثلاثة أوجه.



التتليث البوذي من آثار فترة الكوشان في الهند.



Brahma (the Creator and the first God of the trimurti), along with Vishnu and Shiv.

تتليث براهما وفشنو وشيفا.



Palmyrene deities Aglibôl (Moon God), Beelshamên (Supreme God),
Malakbêl (Sun God) on display at the Louvre Museum.

مجسم للتثليث من آثار حضارة سورية قديمة محفوظ بمتحف اللوفر،



وجاءت الكشوف الأثرية لتثبت أن أصل دعوة عيسى عليه السلام هو التوحيد؛ لكن السلطة الرومانية الوثنية
المُعتقد حاربت دعوة التوحيد الخالص وحرقت ما استطاعت من المدونات الأصلية، لهذا لم تخرج ترجمة لفائف قمران
التي اكتشفت في القرن الماضي وفيها ما يشكك في المعتقدات الحالية عند اليهود والنصارى، وبالمثل كان الفلاح
المصري محمد السمان أول من اكتشف عام ١٩٤٥ بعض مخطوطات مخبأة في جرة خزفية بالقرب من نجع حمادي،
وسميت المجموعة بمخطوطات نجع حمادي Nag Hammadi library، وهي تشهد بأن دعوة عيسى هي التوحيد.

وهكذا تحقق نبأ القرآن الكريم في براءة عيسى عليه السلام من فرية شرك التثليث، وَصِدْقِهِ فِي جَمْعِ النَّصَارَى
 أسفار الأزمنة قبل عيسى عليه السلام وبعده في كتاب واحد حيث دعاهم (أَهْلَ الْكِتَابِ)، وتحقق نبأه في تأليهم أمه
 قبل أن ندرك أن بعضهم ما زال حتى اليوم يتعبد تماثيلها: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ
 إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا
 أَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا
 مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ المائدة: ١١٦ و١١٧، والمضمون أن
 المسيح عليه السلام بريء من الشرك مع الله تعالى؛ وأن التثليث دخيل ومخالف لرسالة جميع الأنبياء.



قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال ابن عاشور: "خطابٌ موجهٌ إلى النصارى خاصةً، وخطوبوا بعنوان أهل الكتاب تعريضاً بأنهم خالفوا كتابهم، وقرينة أنهم المراد هي قوله: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ) إلى قوله: (لَنْ يَسْتَنْخَفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ) ٤ النساء: ١٧٢، فإنه بيانٌ للمراد من إجمال قوله: (لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق)، وأبديت مؤعظتهم بالنهي عن الغلو لأن النصارى غلوا في تعظيم عيسى فادعوا له بقوة الله، وجعلوه ثالث الألهة، والغلو: تجاوز الحد المألوف..، وغلوا أهل الكتاب تجاوزهم الحد الذي طلبه دينهم منهم، فاليهود طولبوا باتباع التوراة ومحبة رسولهم؛ فتجاوزوه إلى بغضة الرسل كعيسى ومحمد عليهما السلام، والنصارى طولبوا باتباع المسيح فتجاوزوا فيه الحد إلى دعوى إلهيته أو كونه ابن الله، مع الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم..، ومعنى القول على الله هنا: أن يقولوا شيئاً يزعمون أنه من دينهم، فإن الدين من شأنه أن يتلقى من عند الله..، فجعلوا عيسى ابناً لله ومريم صاحبةً لله سبحانه..، ووصف المسيح بأنه كلمة الله؛ وصفت جاء التعبير به في الأناجيل، ففي صدر إنجيل يوحنا (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله) ثم قال: (والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا)، وقد حكاها القرآن وأثبتته فدل على أنه من الكلمات الإنجيلية، فمعنى ذلك أنه أثر كلمة الله؛ والكلمة هي التكوين، وهو المعبر عنه في الاصطلاح بكن..، ووصف عيسى بذلك لأنه لم يكن لتكوينه التأثير الظاهر المعروف في تكوين الأجنة، فكان حدوثه بتعلق القدرة..، ومعنى (ألقاها إلى مريم): أوصلها إلى مريم..، وقيل: الروح النفاخة، والعرب تسمي النفس روحاً والنفخ روحاً..، أي أن فسار ما وقع لديكم من كلام الأناجيل هو وصف المسيح بكلمة الله وبروح الله؛ وليس في شيء من ذلك ما يؤدي إلى اعتقاد أنه ابن الله وأنه إله..، وأريد بالرسول جميعهم، أي لا تكفروا بواحد من رسله..، في الآية الأخرى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) المائدة: ٧٣، وفي آية..: (أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) المائدة: ١١٦..، والتثليث أصل في عقيدة النصارى كلهم، ولكنهم مختلفون في كنيسته..، كان العلم يوم تدوين الأناجيل مكدلاً بالألفاظ الاصطلاحية للحكمة الإلهية الرومية، فلما اشتبهت عليهم المعاني أخذوا بالظواهر فاعتقدوا أن الأرباب ثلاثة..، وقاربوا عقيدة الشرك..، ثم نشأت فيهم عقيدة الحلول، أي حلول الله في المسيح بعبارة متنوعة، ثم اعتقدوا اتحاد الله بالمسيح، فقالوا: الله هو المسيح، هذا أصل التثليث عند النصارى..، وظهر بالإسكندرية راهب اسمه أريوس قال بالتوحيد وأن عيسى عبد الله مخلوق، وكان في زمن قسطنطينوس سلطان الروم باي القسطنطينية.. (الذي)، رأى مخالفة معظم الرهبان له فأراد أن يوحد كلمتهم، فجمع مجمعا من علماء النصارى في أواخر القرن الرابع من التاريخ المسيحي، وكان في هذا المجمع نحو ألفي عالم من النصارى فوجدتهم مختلفين اختلافاً كثيراً ووجد أكثر طائفة منهم على قول واحد: ثلاثمائة وبضعة عشر عالماً؛ فأخذ قولهم وجعله أصل المسيحية ونصره..، واتفق قولهم على أن كلمة الله اتحدت بجسد عيسى وتقمصت في ناسوته أي إنسانيته ومازجته امتزاج الخمر بالماء، فصارت الكلمة ذاتاً في بطن مريم، وصارت تلك الذات ابناً لله تعالى، فالإله مجموع ثلاثة أشياء: الأول الأب ذو الوجود، والثاني الابن ذو الكلمة أي العلم، والثالث روح القدس..، وقد بسطت هذا ليعلم حسن الإيجاز في قوله تعالى: (ولا تقولوا ثلاثة)، وإتيانه على هذه المذاهب كلها، فلله هذا الإعجاز (الغيبي)..، فكلمة (سبحانه) تفيد قوة التنزيه لله تعالى عن أن يكون له ولد، والدلالة على غلط مثبتيه، فإن الإلهية تنافي الكون أباً واتخاذ ابن لاسبحاله الفناء والاحتياج والانفصال والمماثلة للمخلوقات عن الله تعالى، والنبوة تستلزم ثبوت هذه المستحيلات لأن النسل قانون كوني للموجودات لحكمة استبقاء النوع..، وقوله: (وكفى بالله كيلاً) تدبيل، والوكيل الحافظ، والمراد هنا حافظ ما في السماوات والأرض؛ أي الموجودات كلها"٣.

٣ محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٦/٥٠).

وقال الماوردي: "قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب للنصارى خاصة، والثاني: أنه خطاب لليهود والنصارى؛ لأن الفريقين غلوا في المسيح، فقالت النصارى: هو الرب، وقالت اليهود: هو لغير رشدة (أي مجهول النسب؛ يتهمون أمه في التلمود)، وهذا قول الحسن. والغلو: مجاوزة الحد ومنه غلاء السعر إذا جاوز الحد في الزيادة، وغلا في الدين إذا فرط في مجاوزة الحق. {وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْإِلَهَ الْحَقُّ} يعني في غلوهم في المسيح، {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ} رداً على مَنْ جعله إلهاً، أو لغير رشدة أو ساحراً، {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} في كلمته ثلاثة أقاويل: أحدها: لأن الله كلمه حين قال له كن، وهذا قول الحسن وقاتدة، الثاني: لأنه بشارة الله التي بشر بها؛ فصار بذلك كلمة الله، والثالث: لأنه يهتدي به كما يهتدي بكلام الله، {وَرُوحٌ مِنْهُ} فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: سُمِّيَ بذلك لأنه رُوح من الأرواح، وأضافه الله إلى نفسه تشريفاً له، والثاني: أنه سُمِّيَ روحاً لأنه يحيا به الناس كما يُحْيُونَ بالأرواح، والثالث: أنه سُمِّيَ بذلك لنفخ جبريل عليه السلام لأنه كان ينفخ فيه الروح بإذن الله، والنفخ يُسَمَّى في اللغة روحاً؛ فكان عن النفخ فسمي به {فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا: ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ} في الثلاثة قولان: أحدهما: هو قول النصارى أب وابن وروح القدس؛ وهذا قول بعض البصريين، والثاني: هو قول من قال: آلهتنا ثلاثة؛ وهو قول الزجاج".^٤

وقال الراغب: "خاطب بذلك النصارى فيما يدعونهم من الافتراء على الله وعيسى..، وسماه كلمة الله كقوله: {ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ} قيل: بشارة الله..، وسماه روحاً لقوله: {فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا}، وقيل: لأنه كان يحيي الناس إحياء الروح، وقيل: لأنه سبب للحياة الأخروية، كما أن الروح سبب للحياة الدنيوية، وقال: {انتهوا خيراً لكم}. قيل: فيه الوجهان المقدمان، وقيل: {انتهوا خيراً لكم}، وقوله: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}، عنى غناه عن الأولاد، ويقول: {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} أنه القائم بحفظ الأشياء، والولد يحتاج إليه ليكون وكيلاً لأبيه؛ وهو تعالى مستغن، لأنه هو الحافظ لكل شيء".^٥



^٤ الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١١ ٥٤٦).

^٥ الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (١٤ ٢٣٨).

الحقل العلمي Scientific Field

Theology

أديان

الموضوع Subject

Trinity

التثليث

نصوص متعلّقة Related Texts

- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ. فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسْتَ تَرَوُا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ٢ البقرة: ٧٨ و٧٩.
- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ٣ آل عمران: ٦٤.
- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٩ التوبة: ٣٠ و٣١.
- ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ٤ النساء: ٨٢.
- ﴿وَيَكْفُرُ بِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا. وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٤ النساء: ١٥٦-١٥٨.
- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ٤ النساء: ١٧١.
- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ٥ المائدة: ٧٧.
- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ٥ المائدة: ٧٣-٧٥.
- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٥ المائدة: ١١٦ و١١٧.

